وهنا ظهر وضع عسكري جديد . فلقد استمر العرب على تبني العقيدة العسكرية الدفاعية ليعيدوا بناء جيوشهم وراء دفاعاتهم وليحرموا اسرائيل من امكانات تسديد ضربات جديدة . وتبنى الاسرائيليون لاول مرة عقيدة عسكرية دفاعية غايتها الحفاظ على المناطق المحتلة أطول مدة ممكنة بأقل قوة بشرية ممكنة بغية ردع العرب عن التفكير باسترجاع الاراضي بالقوة واجبارهم على قبول الامر الواقع وتقديم التنازلات والخضوع لشروط « السلام الاسرائيلي » الذي يضمن التوسع والامن الاسرائيلي . ونلاحظ هنا ان القادة الاسرائيليين لم يتبنوا العقيدة الدفاعية الجامدة المبنية على دفاعات في الجولان، وخط بارليف على قناة السويس بل تبنوا عقيدة دفاعية ــ هجومية ديناميكية مبنية على التعرض المستمر ، وتسديد الضربات الرادعة بالعمق مستندين الى ضخامة قوتهم الجوية وقواتهم المحمولة جوا واستخباراتهم التي تقدم لهم من المعلومات ما يجعل ضرباتهم ناجحة مؤثرة مع اقل خسارة ممكنة . مع الاعتماد في الدفاع عن البلاد على القوة الضاربة (طيران ومدرعات ومشاة ميكانيكية) القادرة على القيام بهجوم مضاد واسع حاسم يدمر أية قوة مهاجمة تحقق نجاحات محدودة ضد مواقعهم الدفاعية ، وتطوير الهجوم المضاد بعد ذلك الى مطاردة .

وكانت اسرائيل مرتاحة لهذا الوضع . ولم يضايقها بعد حرب ١٩٦٧ سوى حرب الاستنزاف المحدودة على القناة ونشاط الثورة الفلسطينية داخل الارض المحتلة . ثم جاء مشروع روجرز وصمتت المدافع المصرية على القناة ، واعقب ذلك مذبحة ايلول ١٩٧٠ التي انهكت قوات الثورة الفلسطينية وحدت من حرية عملها ووجد الاسرائيليون انفسهم في أفضل وضع عسكري صادفوه فبدأوا تهويد المناطق المحتلة ، واعلنوا انهم على استعداد للبقاء على خطوط ١٩٦٧ حتى يرضخ العرب لارادتهم .

ولم يكن بوسع مصر وسورية السكوت عن هذا الوضع . وكان عليهما تحرير الارض المغتصبة التي يرفض العدو التخلي عنها بالوسائل السلمية . بيد ان تحرير الارض لا يتم عن طريق الدفاع ، وما الدفاع ــ عسكريا ــ سوى مرحلة من مراحل الهجوم . وهو بالتحديد المرحلة التي يتم فيها اعداد القوى المادية والمعنوية اللازمة للهجوم . ويحتاج الهجوم في عالمنا المعاصر الى عاملين : ١ ــ هدف عادل يمكن طرحه داخليا وخارجيا واكتساب التعاطف الداخلي والعالمي معه ، ٢ ــ قوة مادية ومعنوية قادرة على تحقيق هذا الهدف . وكانت مصر وسورية تملكان الهدف العادل الذي تؤيده الجماهير العربية ويقر بعدالته الرأي العام العالمي الذي عجز عن اجبار اسرائيل المدعومة من قبل الولايات المتحدة على الانسحاب من الاراضي المحتلة . ولم يكن عليهما سوى اعداد القوة اللازمة للتحرير ، والتحول من العقيدة العسكرية الدفاعية الى العقيدة العسكرية الهجومية . ولقد تم الاعداد باناة ودقة وصمت وراء ستار من التغطية السياسية والدبلوماسية الحاذقة . وشهد الجيشان المصري والسوري أكبر تحول شهداه منذ عام ١٩٤٩ في مجالات التسليح والتدريب والعقيدة الحربية . وعندما توفرت الظروف الملائمة وتكاملت قوة « القبضة » انطلق « الذراع » مسددا للعسكرية الاسرائيلية اخطر ضربة مادية ومعنوية شهدتها في تاريخ الصراع العربي ــ الاسرائيلي.

وكانت المفاجأة مذهلة صاعقة بالنسبة للاسرائيليين والامريكيين والعالم أجمع . ومن المؤكد ان الاستخبارات الامريكية والاسرائيلية قد لاحظت تحشدات المصريين والسوريين التي تمت في مطلع شهر تشرين الاول كرد على تحشدات الاسرائيليين على الحدود